في مفهوم الثقافة والمجتمع

دومارا حداد

سنتناول موضوعنا هذا من جانبه العام دون أن نخص ثقافة معينة بمفهومها العام الواسع ، وقد يكون هناك أكثر من شكل للثقافة في المجتمع بسبب تعدد الأفكار إلا أننا هنا نستعمل مفهوم الثقافة وحدويا اي ثقافة المجتمع عموما .

تعريف الثقافة:

ابتداءً من الضروري أن نقف عند كلمة الثقافة ماذا تعني وكيف تعرف؟

● في العربية فإن كلمة الثقافة مصدرها من الفعل الثلاثي، ثقف الشيء ثقفا وثقافة وثقوفة ومعناها حذقة وثقف الرجل ، أي أنه رجل حاذق أو صار حاذقا أو ماهرا.

ويقال ثقف الشيء بمعنى تعلمه بسرعة والثقاف ما تسوى بها الرماح ، وتثقيف الرماح معناها تسويتها أو صقلها .

● اما في اللغات الاوروبية فان لفظة الثقافة يقابلها **Culture** والتي تعني - الزرع - وجاءت بهذا المعنى لأن الزراعة تعني السكن في القرى والمدن أو أنها تعني التحضر أو الاستقرار ، وتبين لنا من المواضيع الثلاثة الآنفة الذكر أن كلمة الثقافة وحسب تعبيرها اللفظي - تهذيب - صقل - حذق - زرع .

والثقافة اخيرا عبارة عن مقاييس اخلاقية ونظرة عامة الى كل جوانب الحياة والروحية والمادية تؤثر على السلوك والعادات وتهدف الى رفع مستوى الانسان الى الاحسن والافضل وتتناقل من جيل الى آخر عن طريق اللغة والمحاكاة، ويمكن القول أن الثقافة هي كل ما كونته الامة أية أمة من أفكار ومعتقدات وأدب وفنون وكل ما يقدمه الفكر في مجالات الحياة المختلفة وليس فقط ما جاء شعرا أو قصة أو رواية أو مسرحا أو كتابة كما يعتقد البعض فهذه ليست سوى جزء من الادب ، والادب ليس إلا فصلا من فصول الثقافة وليس الثقافة كلها .

إذَنْ الثقافة هي الوعي المتطور للفكر الانساني وهي الانجاز الرائع لهذا الوعي .

بعد هذا الموجز لتعريف الثقافة نأتي الى المحور الثاني من موضوعنا .

من هو المثقف أو من هم المثقفون؟

المعروف ان الناس جميعا متساوون في التكوين الفسيولوجي، يختلفون في المواهب والافكار والمشاعر والاحاسيس كل حسب ما امكنه من صقل موهبته سواء بالتثقيف أو المكتسب من البيئة المحيطة به .

وهنا تظهر لنا مجموعتان من الاشخاص لابد من التفريق بينهما .. اشخاص متعلمون يحسنون مهنتهم .. مثل التدريس - الطب - الهندسة - الصيدلة - وغيرها من المهن التي يحتاجها المجتمع الانساني .

واشخاص مثقفون وهم الذين يتخذون من عالم المعرفة ميدانا لهم حيث انهم لايكتفون بدراسة جانب واحد من جوانب المعرفة ولايروي ظمأه فرع واحد من فروعها وانما يطرق كل بحث وكل فن وأدب وتاريخ وفلسفة وتهذيب قابلياته بكل شيء - أي انه يعرف شيئا من كل شيء - ويمتاز بالاعتدال والتواضع ويدعو دائما الى الاستجابة لحكم العقل ومشكلته الاساسية هي الحرية .

وهذا ما كان من المستطاع لديهم بسبب محدودية هذه العلوم .

لكن بعد التوسع في مجال العلوم والمعارف المختلفة اصبح من الصعب جدا الالمام بكل العلوم - اضافة الى ظهور علوم جديدة أخرى - الفضاء - الكومبيوتر - الالكترونيات - الذرة - وغيرها مما أدى الى ظهور التخصص وهذا بدوره أدى الى كثرة المتعلمين وقلة عدد المثقفين ، وبهذا الصدد يقول الكاتب الآشوري ابرم شبيرا في تعريفه للمثقف: هو كل من يقوم بوظيفة تبرير شرعية وجود جماعة سواء كانت تلك الجماعة ناديا أو جمعية وكذلك الامة حيث يجب أن يرتبط بها ارتباطا عضويا ويبرر شرعية وجودها بالاعتماد على مقوماتها الاساسية بالذي لايرتبط عضويا بالجامعة فهو لايمارس دور المثقف وانما هو متعلم فقط.

دور المثقف في المجتمع:

لما كانت الثقافة هي مقاييس اخلاقية تهدف الى رفع مستوى الانسان نحو الافضل فمن هو ياترى الذي يستطيع أن يختار الطرق والسبل التي يمكن بواسطتها تسليك أو صقل أو زرع هذه الاخلاق والافكار في نفوس أبناء المجتمع للوصول الى حالة جديدة متطورة .

بدون شك ان هذه المهمة تقع على عاتق المثقف لأن له الادوات التي يستطيع بواسطتها صقل المواهب وزرع المعرفة في العقول، كما ان حضارة اية امة لايمكن ان تكون حضارة حية وفعالة ما لم تظهر آثارها في حياة المجتمع وما الثقافة إلا ظهور التأثير الفكري في المجتمع والمثقف هو الذي يزرع في هذا المجتمع، وان ضعف الاحساس الاخلاقي وما يطرأ على الضمائر من فساد تكون سببا في انحطاط المجتمع ولهذا فان المثقفين اذا امتنعوا عن ما عليهم من واجبات فانهم يضاعفون العلل في المجتمع ويحرمونه من مزايا التغيير والتطور - وذلك بسبب توقفهم عن عملية خلق الانسان الجديد الذي هو العنصر الفاعل في خلق التراكم الفكري وتحسين النقلات النوعية والضمانة الأكيدة لاستمرارية الفكر والابداع في المجتمع .

ثم إن المثقف هو الذي يختار السمات التي تتميز بها الثقافة التي يجب أن يغرسها في نفوس أبناء المجتمع ، ومن هذه السمات تكون وطنية قومية تعنى بتراث وتاريخ وأدب تلك الامة وان تكون انسانية ايضا مع الحفاظ على جوهر خصائص القومية، ويقول غاندي بهذا الشأن : «أرغب أن تدخل بيتي كل الثقافات ولكني لا أقبل لأي منها ان تقلعني من بيتي» .

يجب أن تكون الثقافة متصدية للأفكار والتيارات التي تدعو الى التعصب والطائفية ، وحول التعصب نجد في بداية القرن العشرين ان المثقفين الالمان أشادوا بالثقافة الالمانية وأرادوا فرضها على العالم بالقوة مستندين بذلك الى آراء نيتشه بعد أن غيروا معانيها الأصلية مما أدى الى نشوب حربين عالميتين .

والمثقف الذي يسعى الى التغيير الاجتماعي لا يدفعه الى ذلك دافع عاطفي أو ممارسة عارضة أو مصلحة ذاتية إنما يتبنى عملية البناء في الفكر والسلوك في النظرية والتطبيق مستندا في ذلك الى وعي ومسؤولية من أجل بناء المجتمع بالقدرات الفكرية التي يمتلكها، إن مهمة المثقف في بناء الانسان ماديا وروحيا لاتقل أهمية عن التنمية الاقتصادية والتكنولوجية ، فكلاهما بناء ، الأول هو بناء للمواطن والثاني بناء للوطن والأول قد يكون أصعب من الثاني لكونه يحتاج الى وقت أطول وصبر أكثر .

رحلة الحج

حاتم محسن شراح

هنيئا لمن لبى بحج وأحرما ... وبالحلق والتقصير من كان مفرداً
وللنفس بالخيرات والعتق ألزما ... بذا شرع الله الكريم ليرحما
هنيئاً لمن غادر أهلاً ورفقه ... وعند طواف للافاضة انتم
ووافى رسول الله طه المكرما ... غسلتم ذنوبا تملأ الارض والسما
هنيئا لمن لبى نداء إلهه ... وبالرجم للشيطان كانت براءة
وطاف ببيت الله حاجا ليغنما ... وجاءت نفوس مظلمات لترجما
ويسعى ليلقى العفو حقا بسعيه ... فعادت بصفو يشكر الله سعيها
هنيئا لمن في منسك الحج أحكما ... فعادت كمن قد كان بالوصل مغرما
وفي عرفات بالوقوف بلغتم ... على خير خلق الله طه محمد
أمانيكم والله للجمع أنعما ... إله الورى صلى عليه وسلما
وعند مبيت ليلة الجمع أنتم ... كذا الآل والأصحاب ما لاح بارق
كأهل عفو كان من قبل أجرما ... بهم نتأسى كي نفوز ونسلما
بجائزة الرحمن فزتم وعندها
نحرتم وللرحمن قد سالت الدما

٣٠\ذي القعدة\١٤٢٥هـ

الأساتذة والمفكرون يؤكدون:

اللغة العربية تحتضر ومطلوب إنقاذها

المدرسون: تدريب المدرسين عملية شكلية ولا نستفيد منها

القاهر/الثورة/ محمد مهران

ارتفع بشكل ملحوظ وكبير عدد المدارس الخاصة والأجنبية داخل ربوع الدول العربية، وإذا كان ذلك يمثل ظاهرة طيبة نظراً لانفتاح أولادنا وانطلاقهم من خلال هذه المدارس إلا أن هناك أمراً آخر بدأ يزيد القلق بانتشار هذه المدارس وهو تراجع تعلم اللغة العربية، وكل الاهتمام ينصب على تدريس اللغات الأجنبية، وإن كان هذا الاهتمام لم تنفرد به المدارس الخاصة فقط فأيضاً المدارس الحكومية بدأت هي الأخرى إهمال تدريس اللغة العربية، وجعل درجاتها أقل مما دعا الطلبة والتلاميذ لعدم الاهتمام بها، وعدم إعطائها القدر الكافي مما يجب أن تكون عليه، مما طرح على السطح هذا السؤال: هل حقاً ستموت اللغة العربية؟ والإجابة أبداً لن تموت، فكيف تموت وهي لغة الأديان فما هي سُبُل إنقاذها؟.

احتضار

سعيد سليمان -مدرس أول اللغة العربية - يعترف في بداية حديثه بأن كثيراً من المدرسين يتخرجون وليس في عقولهم حصيلة لغوية تكفي للعمل بمهنة التدريس وهم طلبة درسوا وسهروا الليالي وحفظوا لمجرد النجاح فقط، لأنهم كانوا يدرسون في الكليات المتخصصة بدراسة اللغة العربية على غير رغبتهم، وحسب قوله: إنهم كانوا يبحثون عن الشهادة الجامعية فقط، مؤكداً أن مناهج الجامعة قشور وسطحية جداً، ولا تقارن بما يدرس في جامعة الأزهر، لذا لابد من مراجعة هذه الحقائق والنظر في اختيار مدرس العربي وتعميق مناهجه بشكل يضمن تفوقه في مادته، كما أن الآفة الأخرى هي في عملية تدريب المدرس.

الأستاذ سمير الأسواني -موجه عام اللغة العربية الذي فاجأنا هو الآخر بقوله: إن انتشار المدارس التجريبية أثر بشكل واضح على اللغة العربية، ومعلوم أنها أنشئت بمعونات أجنبية لتنمية القدرات والمهارات في اللغات الأجنبية وبالطبع جاء ذلك على حساب اللغة العربية، دون أدنى شك ومعنى ذلك أنني لاأدعو إلى غلق أبوابها ولا اضطهادها وإنما أقول لابد من العدالة والإنصاف بين سائر اللغات، وإن كان يجب أن تزيد من إنصافها للغتنا وتقديمها لأنها لغة الوطن والأمة والدين والعروبة.

درجات هزيلة

د.إبراهيم السيوني -موجه للغة العربية - يبدي تأثره بهذا الموضوع ويقول: ليت اللغة الأجنبية داخل المدارس فقط، فنحن نستطيع أن نعد لها، ولكن: المصيبة الكبرى في هذا التعلق بالمصطلحات الأجنبية في كتابة اللافتات، وعلى أبواب المحلات العامة وربما في الصحف، ويترحم على أيام زمان عندما كانوا يحاربون الاستعمار بلافتات وعناوين المحلات، عندما كانت الأمانة، الكرامة، ؛ الصدق، الحرية، هي العناوين السائدة، كما أن السبب الأكثر أهمية هو هذه الطريقة العقيمة المسببة لضعف اللغة هو تجميع فروع اللغة العربية والمشتملة على النحو والصرف والبلاغة والنصوص والإنشاء والقراءة في مادة واحدة وهذا خطأ جسيم لأن الوزارة اعتمدت درجات هزيلة جداً للغة العربية، وخاصة النحو والقواعد، وبالتالي الطالب ينظر إليها بازدراء واستهتار لأنها لن تؤثر كثيراً في مجموعه، .

د. عبدالصبور شاهين واحد من المهتمين بشئون اللغة العربية في كافة أطوارها فكان لابد أن تكون لنا معه وقفة للحديث والكلام هنا للدكتور شاهين : الأمة ستدفع الثمن ونحن هنا بالفعل بدأنا الدفع بعد أن استفحلت المؤامرة على الهوية العربية وأنا أنظر بحسرة إلى مايجري في مدارسنا - لاسيما الخاصة- فأجد واجبات اللغة الأجنبية كثيرة وهامة ويوليها المدرس والمدرسة عناية خاصة مقارنة باللغة العربية، ويتساءل في حسرة هل هذا معقول؟ مشدداً على ضرورة وضع اللغة العربية موضع الصدارة والارتقاء بمناهجها، ولا يعني ذلك إهمال اللغات الأجنبية الأخرى.

أما د.على الحسيني -من علماء الأزهر- فيؤكد: أن الجامع الأزهر والجامعات الأخرى في مصر والدول العربية لابد وأن تهتم بمقررات اللغة العربية إذ لابد أن تقرر منهجاً مناسباً في الكليات العملية كالطب والهندسة، وأيضاً في الكليات النظرية كالحقوق والتجارة والآداب حتى توفر مناخاً علمياً للطالب يمكن أن يتحدث به العربية، ويجب أن لانتسى دور وسائل الإعلام وإسهاماتها في اللغة سلباً وإيجاباً فلابد أن نبدأ بوسائل الإعلام:« المسموعة والمرئية والمكتوبة» إذ ينبغي عليها أن تخاطبنا بلغة سهلة عربية أصيلة، وأنا هنا لاأنادي بالتقعر أو بالتفحش في اللغة العربية، وإنما أنادي بترك الترخيص والإعلانات جزء من العملية الإعلامية وهي جريمة في حق اللغة لأن الأخطاء لاتطاق واللغة يعتدى عليها دون محاسب أو رقيب، فالمهم لديهم المادة التي تأتي بها الاعلانات على حساب: اللغة، والقيم، والمبادئ.

البداية الصحيحة

يقول د.أحمد كشك -عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة: أخشى أن تتحول المسألة إلى استهلاك الوقت والأفكار التي لاتحصى فينسى بعضها بعضاً وتخرج بلا نتائج، فلابد أن نقف سوياً صفاً واحداً لنبدأ بداية مدروسة متوفر لها التخطيط المناسب شريطة أن يكون التوجيه قابلاً للتنفيذ فيما لايزيد على العام الواحد، وليس ضرورياً أن تحل مشاكل اللغة مرة واحدة، لكن المهم أن نبدأ وننجز ونحل قضية ثم نتفرغ لغيرها وهكذا.

وأرى أن البداية ستكون إيجابية، إذ بدأنا من وسائل الإعلام، ولا بد من التركيز على اللغة المنطوقة في الإعلام بمختلف وسائله ووسائطه لأن دور الإعلام جد خطير، وكذا المسرح والسينما .. وقد شاع الابتذال والإسفاف إلى درجة السخرية من اللغة العربية نفسها.

أما د.عبدالعظيم المطعني -أستاذ البلاغة والأدب: فقد وزع المسؤولية على الجميع إعلاميين ومعلمين وأولياء أمور وتلاميذ لأعرف لماذا لايراعي الإعلاميين حق: اللغة العربية خاصة أنهم يكتبون بالعربية في دول عربية لقراء عرب ومستمعين ومشاهدين عرب، فهل يعقل أن يصل بنا الإعلاميون إلى هذا المستوى المتدني في اللغة والنطق، حتى أصبحنا نادرة بين الجيران، وعلى صعيد المعلمين أوصيهم بالاجتهاد في الفهم أو الشرح، وأن لايقتصر اهتمامهم وشروحهم للقواعد فقط، ولكن لابد من الاهتمام بحصص المطالعة والقراءة والمحفوظات والإنشاء وكلها طريق تسلك آلية اللغة لترتقي وتعيش، وإذا عجزنا عن كل هذا فمعناه أني أشرح القاعدة، ولا أخدمها تماماً كمن يغرس شتلة في أرض لا ماء فيها ولابد أن تموت، أما الأسرة فدورها أكبر من المدرس.

محسن محسن الجبري

قبيلة الزرانيق في تهامة الغرب والتي انتقلت من تهامة الشرق ومن ارض الجنتين في وادي سبأ بعد انهيار سد مأرب العظيم وبعد ان جرف سيل العرم باقي مدن الحضارة وتفرقت ايدي سبأ، وقد أثبتت المراجع التاريخية ان قبيلة الزرانيق من اصول ازدية عندما انتقل الازد من وادي سبأ الى وادي مور غربا والى عمان شرقا وقد استوطنت قبيلة الزرانيق السهل الممتد من تحت جبال ريمة شرقا الى ميناء الطائف البحري غربا ومن المنصورية شمالا الى الحسينية جنوبا ، او كما يقول أبناء تهامة عن الجانب الجنوبي الجانب اليماني وعن الجانب الشمالي الجانب الشامي ويسمون مشائخ الزرانيق باسم الجانب الذي يتواجدون فيه، فيقال عن المشائخ آل منصر مشائخ الجانب الشامي في ارض الزرانيق وعن آل الفاشق مشائخ الجانب اليماني في ارض الزرانيق، وبما ان الزرانيق قد انتقلوا من ارض الجنتين وعندهم خبرة كبيرة بفنون الزراعة التي تعلموها في عصر ارقى حضارة انسانية فقد اختاروا الاراضي الزراعية في وادي زبيد ووادي مور ووادي موزع كما اختار غيرهم بقية الوديان السبعة في تهامة الغرب ومنها وادي سهام ووادي سردد ووادي مور وادي حرض، هذه الوديان السبعة التي تعتبر من أهم مصبات السيول والتي بنى فيها اجدادنا العظام الحواجز المائية القوية لدي اوسع الاراضي في سهول تهامة والتي نسفها الغزو الصليبي وجيوش الغزو الحبشي حتى أصبحت سيول الامطار الموسمية تجرف أتربة أخصب الاراضي الخصبة ثم تضيع مياه السيول والغيول والمياه العذبة الصافية في مياه البحر المالحة ودليلنا عندما نحفر اطراف الرمال في الخوخة مثلا المجاورة لمياه البحر نجد المياه العذبة التي تنزل من الجبال وتضيع في مياه البحر الاحمر المالحة، والمثل الشعبي اليماني يقول «لو زرعنا تهامة لأكلنا الى يوم القيامة» لقد قام أبناء الزرانيق بزراعة اوسع الاراضي الخصبة الممتدة من الجبال في الجانب الشرقي الى البحر والطائف في الجانب الغربي واستغلوا المياه التي تنزل الى اراضيهم من الجبال المجاورة لهم مياه سيول الامطار الموسمية والغيول التي لاينقطع جريانها طوال العام حتى قضوا على الرمال والتصحر واصبحت ارضهم جنة خضراء تغطيها اللالايين من اشجار النخيل المثمرة وبقية الاشجار التي تنبت في المناخ الحار وكلما تنتج ارضنا الطيبة من اجود المنتجات الزراعية، وتحت هذه الغابات الكبرى في اوسع الاراضي اكبر ثروة حيوانية من الابقار والاغنام والماعز والغزلان والوعول والخيول والجمال وبقية المواشي حتى اصبحت اراضيهم من أغنى الاراضي التهامية، ويعتبر رجال قبيلة الزرانيق من أقوى الرجال واشجع القبائل اليمانية في مخلاف الاشاعرة وما يوصف به ابطال الزرانيق انهم عمالقة ومن أقوى الرجال لأن غذائهم من ألبان الجمال ولحوم الغزلان ومن سمن الابقار والاغنام وخبزهم من حبوب الدخن والذرة والبر البلدي والعسل المصفى من زهور العلب، ومما نعرفه عن العادات الحميدة التي تعود عليها رجال قبيلة الزرانيق الأبية عادة العدو حيث يقومون بمطاردة الغزلان والوعول حتى يتم لهم القبض عليها وهي حية ويعودون كما تعودوا في عدوهم وهم في غاية السرعة قبل ان تموت الغزلان او الوعول التي امسكوها وهي حية الى المكان الخاص بالمتسابقين الذي تعودوا فيه كل يوم على اقامة المباراة اليومية بين المتسابقين حيث توجد في هذا المكان لجنة التحكيم المكونة من كبار القوم والمشائخ ومن عندهم الخبرة التامة بشروط عادة العدو ومطاردة الغزلان السريعة والوعول التي تباع قرونها الطويلة بأغلى الأثمان لأن هذه القرون ترمز الى الهلال الذي كان اليمانيون قبل ظهور الاسلام يضعونها في اركان معابدهم لمنع وقوع أي صاعقة على اي معبد لأن فيها شحنة كهربائية ومن يريد ان يتأكد يضرب قرنا بقرن بقوة ولابد ان يرى ان تلمع النار البيضاء وبعد ظهور الاسلام يضعها اليمانيون الى اليوم في اركان البيوت لمنع الصواعق، ومن عادة ابطال الزرانيق الوثب فوق الموانع واجتياز الحواجز والقفز فوق ظهور الجمال وايضا القفز من الارض الى فوق ظهور الخيل وهي في سرعة انطلاقها في ميادين الخيول، وعندما فجرت القبائل اليمانية الانتفاضات الغاضبة ضد الاستعباد الامامي شرقا وغربا وجنوبا كانت الامامة تتوهم ان سكان المناطق التهامية قد ركعوا لطغيان الاستعباد الامامي وسجدوا على اقدام السادة المستعبدين ولن ترتفع رؤوسهم في يوم من الأيام الى ان فجر ابطال الزرانيق اكبر انتفاضة كما قال شاعرهم :

ولما لم نجد للظلم مانع
وميزان الطغاة زاد ارتفاعه
رفعنا الروس من تلك المضاجع
لنأخذ حقنا ممن أضاعه

وكان سفاح الامامة احمد حميد الدين يعتقد انه بجيوش الجهلة والجيش المتوكلي وبقايا الاتراك سيخمد الانتفاضة الزرنوقية في أيام معدودة إلا ان ابطال الزرانيق لقنوه دورسا قاسية السنين الطويلة وهزموه في كل معركة وحاصروه في وادي الجاح حتى اعترف بابطال الزرانيق وقال :

صاح ان الجاح قد اضنى فؤادي
ورمى طرفي بالوأن السهاد

وبرغم الجيوش القبلية التي كان يرسلها أبوه دجال الامامه يحيى محمد حميد الدين لفك الحصار عنه والذين كانوا يقولون في زواملهم العنصرية والمذهبية هذه الكلمات المضللة للمغرر بهم من المرتزقة :

سادتي انتم نجوم الارض دايم .. من محبتكم نزلنا لا التهايم .. نرضي الله والامام .. الخ

ولشدة الانتفاضة العارمة التي قام بها ابطال الزرانيق ضد الاستعباد الامامي والهزائم التي لحقت بسفاح الامامة قامت الامامة بارتكاب اكبر جرائمها التاريخية حيث أمر الامام يحيى بقلع كل الاشجار في أكبر الغابات في أوسع اراضي الزرانيق حتى حول ارض الزرانيق الى صحراء تغطيها جبال من الرمال بحجة أن ابطال الزرانيق يختبئون تحت اشجار الغابات الخضراء، ورغم ارتكاب الامامة لجريمة قلع اشجار الغابات التي كان تنزل فوقها الامطار ثلاث مرات في اليوم والليلة برغم هذه الجريمة فقد استمرت الانتفاضات الشعبية في كل المناطق اليمانية شرقا وغربا جنوبا وشمالا حتى تحالف الامام يحيى مع ايطاليا وبريطانيا على إخماد كل انتفاضة كما قال الشهيد علي ناصر القردعي :

قدهم على شور من صنعاء الى لندن متأمرين كلهم امام ونصراني

قصة قصيرة

مشوار في المدينة

صالح اليتيم

الزمان: التاسع والعشرون من رمضان والساعة قرابة الرابعة عصرا وغدا يوم عيد المسلمين ... هكذا يبدو لي .

الجو غائم ممطر .. والطقس بارد قارس .. والسماء فوق المدينة تلبس ثوبها الداكن ..

فبدت تلك المدينة القديمة بقصورها الهاجعة خلف الاسوار كفتاة حسناء حزينة مكلومة تنعي حظها العاثر في ثياب العروس ..

الناس في الاسواق يمشون في عجالة والكل مشغول بنفسه فقط دون سواه .

وهناك بين الزحام وعلى مدخل بابها الكبير لمحت عيناي طفلين كأفراخ اليمام يترنحان كأغصان الزيزفون في هبوب عاصفة تتفاذفهم أرجل المارة هنا وهناك وغالبا ما ألقتهم تلك الامواج البشرية الهائجة على قارعة الطريق في كثير من المرات .

طفل وطفلة لم يتجاوزا سن الثامنة بعد في ثياب ممزقة مبللة وجسدين شبه عاريين يمدان أيديهما على المارة في تضرع واستجداء متلازمين علهما يجدان بين هذا الكم الهائم من البشر قبل أب رحيم أو أخ كريم يعطيهما قطة من النقود أو حتى كسرة خبز يابسة تعيد لهما الدفء والحيوية وكذا لأمهما المسكينة القابعة خلف ردائها المزركش برواية الشارع وهي ترقبهما في خوف وخجل واستحياء .

طفل وطفلة ترعاهما وتحرسهما رحمة الإله لم أكن يومها وحدي من يرصدهما ويتعقبهما بل هناك من يشاطرني حبهما والاعجاب ياترى من هو؟ انه طائر السنونو يهوي فوق رأسيهما في طيران انسيابي رشيق مداعبا خصلات شعرهما الأشقر المبلل في ذهابه والاياب فيتطاير كالذهب، لا أدري هل كان يريد أن يقف على كتف أحدهما أم يريد أن يضع على خديهما قبلة ؟! بعدها تلاشت تلك الأم وابناها في أزقة المدينة وغابوا عن ناظري كشمس الاصيل الغائرة في الافق .

ما تخلد لديَّ في الذاكرة هي تلك العبارة المكتوبة بخط لايكاد يقرأ على ورقة مبلولة لاصقة على كرتون مقوى والمذيلة بعدة تواقيع معلقة فوق صدر أحدهما تقول «نحن الموقعين أدناه نشهد بأن والد المذكورين شهيد» .

صمود في وجه الأزمنة

علاء صمام

اطلق تضاريس حزنك
مرة واحدة
أحلم بدنيا جديدة الزهر
والزرع والعطر
عندما تمر بمنابت غربتك
ستشعر بنار البداية
اخلع أحزانك انطلق
لا تخف
البداية مثل النهاية
والنهاية ستفضي بك الى
الاغتراب
كلّ أصوات بؤسك
بخالطها ضجيج
مفعم بالسراب
الجمر ينمو
عصفورتك الهاربة
لن تطيق العذاب
أنت وحدك صورة واحدة
يعبرها الزمان
فوق منعطفات
متوحشة
لطالما كنت تبحث
عن عشقٍ تريد
به الانتصار
لكنهم حاصروك
سرقوا من شذاك
العبير
اصمد هذي رسائل
قلبك
منتهى الحب أن تعشق
الزرع والزهر
والاخضرار
منتهى العشق
ألا يقهر أمانيك
هذا الزمان
أنت تدري بأن الحب
اشراقة لا تهاب
الظلام
قد تمضي وحيداً
ولكن مثلك أحرى
بألاّ يهاب
أنت لست أنت
إلا اذا كنت فوق
أنتك أقوى من
الاستلاب
امضي من الاغتراب
فاصمد كما كنت أنت
بعصر الشباب